الاطباء لانهُ كان ماهرًا بالصناعة وانما يذكر لظرافة خبره. قيل كان هذا الرجل صيدلانيًا ضعيف الحال جدًّا فتشكت الخيزران حظيَّة المهدي وكانت من مولدات المدينة وتقدَّمت الى جاريتها بان تخرج القارورة الى طبيب غريب لا يعرفها وكان ابو قريش بالقرب من القصر الذي للمهدي فلما وقع نظر الجارية عليهِ ارتهُ القارورة فقال لها لمن هذا الماء فقالت لامرأة ضعيفة فقال بل لملكة جليلة عظيمة الشان وهي حبلى بملك. وكان هذا القول منهُ على سبيل الرزق. فانصرفت الجارية من عندهِ واخبرت الخيزران بما سمعت منهُ ففرحت بذلك فرحًا شديدًا وقالت ينبغي ان تضعي علامةً على دكانهِ حتى اذا صحَّ قولهُ اتخذناهُ طبيبًا لنا وبعد مدة ظهر الحبل وفرح بهِ المهدي فرحًا شديدًا فانفذت الخيزران الى ابي قريش خلعتين فاخرتين وثلاث مئة دينار وقالت استعن بهذه على امرك فان صحَّ ما قلتهُ استصحبناك فعجب ابو قريش من ذلك وقال هذا من عند الله جلَّ وعزَّ لاني ما قلتهُ للجارية الاَّ وقد كان هاجسًا من غير اصل. ولما ولدت الخيزران موسى الهادي سرَّ المهدي سرورًا عظيمًا وحدثتهُ الخيزران الحديث فاستدعى ابا قريش وخاطبهُ فلم يجد عندهُ علمًا بالصناعة الاَّ شيئًا يسيرًا من امر الصيدلة الاَّ انهُ اخذهُ طبيبًا لما جرى منهُ واستصحبهُ واكرمهُ الاكرام التام وحظي عندهُ

(٣٤) ابو عبد الله جعفر بن محمد بن علي الصادق السادس من الايمة المستورين العلويين الف في الهيئة والكيمياء والرمل وتوفي في المدينة سنة ١٤٨ للهجرة (٧٦٥ م)

(٣٥) ابو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الصوفي الطرسوسي مولدًا الكوفي مسكنًا من تلامذة جعفر الصادق. اشتهر في الكيمياء وجمع خمس مئة رسالة من رسائل جعفر في ١٠٠٠ صفحة طُبع مؤلَّفهُ في ستراسبورج ١٥٣٠ وايضًا ١٦٣٥ وطبع كتاب اصول الكيمياء لجابر وابن سينا في باسل ١٥٧٢ وكتاب لهُ في الهيئة في نوروسبرج ١٥٣٤

في علَّة ملوحة البحر

لجناب الدكتور ادون لويس

ماء البحر يختلف عن مياه الانهر والينابيع بكونهِ ملحًا وهي عذبة فكانَّ فيهِ شيئًا لا وجود لهُ فيها ولايضاح ذلك خذ نقطة من ينبوع عذب وضعها على قطعة من زجاج واحمها على النار حتى تستحيل الى بخار فلا يبقى شيء على الزجاج واذا بقي اثر فهو طفيف جدًّا ثم خذ نقطة من البحر وضعها على قطعة زجاج واحمها كما فعلت اولاً فيصعد الماء بخارًا ويبقى على الزجاج اثر منظور اذا نظر اليهِ بالمكرسكوب وُجد انهُ ملح اعتيادي. لذلك ترى الناس الساكنين بالقرب من البحر ياخذون من مائهِ ويضعونهُ في نقر صخر معرَّض للشمس فيصعد الماء بخارًا ويبقى في النقر ملح. فمن اين اتى الملح الى البحر

ان للناس في ذلك اقاويل عديدة واكثرها فاسد حتى ان آراء بعض الفلاسفة ليس اقرب الى الحقيقة من الحكاية الآتية وهي ان عبدًا مسكينًا شفقت عليه جنية وانتهُ بملحة اذا قال لها عبارةً معلومة اخذ الملح يندفق منها بغزارة ولا ينقطع حتى يقول لها عبارة اخرى معلومة فاستعملها ذلك العبد ولم يمضِ عليه وقت طويل حتى اغتنى بواسطتها. فشعر بذلك رجل حسود وعزم على سرقة المطحنة فغافلهُ ذات يوم وسرقها ودخل بها مركبًا وسافر ومن شدة فرحهِ بها وعدم صبرهِ قصد ان يجربها على الطريق فقال لها العبارة التي عند قولها يندفق الملح منها وكان قد سمعها من العبد فاخذت تدور واخذ الملح يندفق منها بغزارة. ولم يكن يعرف العبارة التي تبطلها فاستمر الملح على الاندفاق حتى كاد المركب يغرق فاستشاط القبطان غيظًا واخذ مطرقة وضربها بها فتكسرت كسرًا عديدة وصارت كل قطعة مطحنة تدور وتخرج ملحًا بغزارة فامتلأ المركب حالاً وغرق بكل ما فيهِ ولم تزل هذه المطاحن تدور في قعر البحر والملح يندفق منها

حقًّا انهُ يوجد الوف من الطواحين التي يندفق منها الملح الى البحر ليلاً ونهارًا وهي الانهر التي تحمل الملح الى البحار من الصخور التي تذيبها على البر. فان الامطار التي تهطل على الارض وتغتال مسام الصخور تذيب شيئًا منها وتحملهُ الى الينابيع والانهار ومن ثم الى البحار والملح من جملة المواد التي تذيبها من الصخور وتنقلها الى البحر ومقدارهُ قليل جدًّا فيها ولكنَّ الوفًا من الانهار تصب في البحر على الدوام فلا عجب اذا كان ملح البحر كثيرًا ومع غزارة الماء الصاب في البحر لا يزيد ماؤهُ وذلك لان الماء الصاعد منهُ بخارًا يعادل الماء النازل اليهِ. واذا صعد الماء بخارًا بقيت المواد الذائبة كما تقدم فبقي الملح في البحر وبالنتيجة يكون ملح البحر آخذًا الآن في الازدياد. والانهار تجلب الى البحر مواد اخرى عدا عن الملح واخصها الكلس الذي تاخذهُ الحيوانات البحرية فتصنع منهُ اصدافها واما الملح فيبقى في الماء ويتزايد قليلاً كل سنة

وفي الاماكن التي ماؤها محصور اي لا يتصل بغير والحرارة شديدة يكثر صعود الماء بخارًا فيصير الماء الباقي شديد الملوحة مثال ذلك ماء البحر الميت المدعو بحر لوط فان موقعهُ في مكان واطٍ محصور والحرارة عندهُ شديدة وينصب اليهِ كل سنة مقدار عظيم من الماء حاملاً كميات وافرة من المواد الذائبة وليس لهُ مخرج تخرج منهُ نقطة من الماء غير ان صعود البخار منهُ كثيرٌ بهذا المقدار حتى انهُ لا ينبض ابدًا مع كثرة الماء الصاب فيهِ بل هو آخذٌ في الهبوط فمن ذلك ماؤهُ ملح جدًّا حتى ان في كل مئة رطل منهُ اربعة وعشرين رطلاً من الملح حال كون مئة رطل من الاوقيانس الاتلانتيكي تحتوي نحو ثلاثة ارطال فقط (راجع ما قيل في آخر الوجه الحادي والتسعين من المقتطف) الاَّ ان الملح المستخرج من البحر الميت بواسطة تصعُّد الماء عنهُ غير صالح للاكل لان فيهِ مركبات اخرى وبعض هذه المركبات ثمين

جدًّا ولو امكن اقامة معامل لاستخراجه لاتى البلاد بنفع عظيم ومن اثمن هذه المركبات البروم والكلور. وقد حسب ان نهر الاردن يصب في البحر الميت ٦٥٠٠٠٠٠٠ طنًّا من الماء في كل اربع وعشرين ساعة اي ستة وعشرين الف الف قنطار وهذا المقدار كافٍ ليزيد في علو مائه خمسة قراريط كل يوم ولكنه لا يزيده وما ذلك الاَّ لان الماء الصاعد بخارًا يعدل الماء الصاب فيه. واذا صعد الماء بخارًا ترك المواد الذائبة فيه فيقيت في البحر. ولما راى بعضهم مقدار الماء الصاب فيه وعدم امتلائه مع عدم وجود منفذ له حكموا ان بينه وبين بحر الروم اتصالاً تحت الارض وليس ذلك بصواب لان سطح البحر الميت اوطأ من سطح بحر الروم بنحو ١٣٠٠ قدم فلو وجد بينهما اتصال لجرى الماء من بحر الروم الى البحر الميت وصارا على ارتفاع واحد كما لايخفى على كل ذي بصيرة. وفي قعر هذا البحر ايضًا ينابيع معدنية كثيرة تنبع اليه بمائها المالح من المواد الذائبة فيه وقد عرف ذلك من انهُ توجد اقسام منهُ ماؤها اكثف من ماء البقية ويحتوي على كميات اكثر من البروم. ولا يعيش في هذا البحر سمك ولا حيوان آخر لكثرة الملح الذي فيه. ويطفو عليه جسد الانسان كما تطفو القلينة على الماء العذب

ورب معترض يقول ليس للاوقيانوسات الكبار من منافذ فلماذا لايكون ماؤها مالحًا بمقدار ماء البحر الميت فجيب ان في الاوقيانوسات مجاري تاتي بالماء من ناحيتي التطيين حيثما يكون صعود البخار قليلاً الى خط الاستواء حيث البخار اكثر فيمتزجان معًا فتبقى كمية الملح قليلة بالنسبة الى بحيرة صغيرة يكثر صعود البخار منها وعدا ذلك قد عرف الجيولوجيون ان مقدارًا عظيمًا من ماء البحر يدخل في مسام بعض الصخور الى جوف الارض حيثما توجد حرارة شديدة فيتحول هناك بخارًا ويسبب انفجار البراكين (اي الجبال النارية) لان موقع كل البراكين حذاء البحر ويخرج من جميعها مقادير عظيمة من البخار المائي فينتج من ذلك ان للاوقيانوسات منافذ الى جوف الارض فلا تزداد ملوحها الى درجة تصير بها غير صالحة للحيوانات والنباتات العائشة فيها وفائدة الملح في البحر حفظ مائه من الفساد فسبحان الخالق الحكيم

ان اثمن ما نملكهُ في الدنيا صيتنا وحياتنا ولكن كلمة واحدة قد تعدمنا الصيت وآلة صغيرة تحرمنا الحياة فالعاقل جدير بان يحرص على حفظ صيته اكثر مما يحرص على كسبه وان يعيش عيشة لا يخشى معها الموت

طُبع في انكلترا كتاب رواية الفه لورد بيكنسفيلد وزير انكلترا السابق فاشتراهُ صاحب مطبعة بعشرة آلاف ليرة انكليزية وهذا اعظم ثمن اخذهُ مؤلف ثمن كتاب الفهُ (النشرة م)